مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

الموت العبثي في خطاب رعد زامل الشعري

أ.م.د. كاظم فاخر حاجم الخفاجي
الباحثة ديار حبيب موحان
جامعة ذي قار- كلية الآداب

الملخص
يُعد الموت من مواضيع الأدب العربي عامة والشعر خاصة لاسيما عند الشعراء المعاصرين فقد حمل شعرهم اشكالاً مختلفة ودلالات متنوعة لهذا المفهوم فهو الذي يخرج الشاعر من دائرة الواقع المأزوم إلى دائرة الخيال، الكثير من حالات الاغتراب لدى الفرد العراقي مقترنة بالحروب وآثاره على المجتمع ورفض ذلك المجتمع له رفضاً داخلياً.

Abstract
Death is one of the topics of Arabic literature in general, and poetry in particular, especially among contemporary poets. Their poetry carried different forms and various connotations for this concept. It is what brings the poet out of the circle of crisis reality into the circle of imagination. Many cases of alienation in the Iraqi individual are associated with wars and its effects on society and that society's rejection of him. internal rejection.

المقدمة
يُعد الموت من مواضيع الأدب العربي عامة والشعر خاصة لاسيما عند الشعراء المعاصرين فقد حمل شعرهم اشكالاً مختلفة ودلالات متنوعة لهذا المفهوم فهو الذي يخرج الشاعر من دائرة الواقع المأزوم إلى دائرة الخيال.

الكثير من حالات الاغتراب لدى الفرد العراقي مقترنة بالحروب وآثاره على المجتمع ورفض ذلك المجتمع له رفضاً داخلياً وقد احتل الحرب في العراق مساحة غير عادية واصبحت له اثار اجتماعية وسياسية واقتصادية ولكن على الرغم من ذلك لم يحظ بدراسة رسمية ، نقدية وبيان ما بين السطور وعدم ظهور تيارات فكرية وأدبية في الثقافة العربية فهل هذا خلل في المجتمع ام المثقف نفسه ؟

أصبح للموت في التسعينات سمة مميزة له وانطبع على الشعر العراقي الحيث في تلك الفترة التشاؤم والقلق واصبح ظاهرة عامة للشعر، فالشعر هو من يرينا جوهر الاشياء ويذهب باللغة بعيداً عن وجهها المباشر.

الكثير منا يتساءل عن سبب كثرة الموت في العراق الا وهو الحرب وراء كل هذا والاجابة عن هذه التساؤلات يقودنا إلى فهم حقيقة الاوضاع في العراق وما يجري فيه وما يخطط له بالسر وبالعلن فيجب ان يكون العراقيين موحدين اقوياء ولكن ما نشاهده هو نهب لخيرات الوطن وفي مقدمتها النفط وفي مقابل هذا عاش ابناء الوطن معاناة ومأساة سياسية واقتصادية وحالة من التخلف رغم وجود هذه الثروات.

الفرد في هذا الوطن وهدور الحياة مقهوراً فيلجأ إلى عالمٍ مستقلٍ وقد أطلق محمد الماغوط[١] على الوطن أسم الموت[٢].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

أصبح العراق كجثة هامدة ينهشها الذئاب المتوحشة فالسياسة فيه تستمد التعليمات من خارج حدوده فماتت الزراعة فيه واندثرت الصناعة وتفشت فيه الامراض الوبائية التي اكلت اجساد مجتمعه، والموت الذي تحدث عنه الشاعر رعد زامل هو القتل دون سبب (الحرب) موت متعدد الاشكال ، يقول الشاعر المغترب عقيل علي قبل وفاته ((كل الذين في المنافي لم يعانوا مثلما عانينا ، غربة الداخل اقسى ... عشنا المنفى في الداخل ... فأنا لاجئ في وطني))[٣].

الموت في خطاب رعد زامل الشعري:

يعد موضوع الموت احد بواعث الاغتراب فلابد من الكشف عن رؤية الشاعر رعد زامل للموت عبر خطابه الشعري فقد انطلق من وجهة نظر خاصة لأنه انساناً عراقي اختلت ارضه وشاهدت عدة حروب كانت سبباً في اظهار الموت بأشكال متعددة تنافي شكل الموت المتعارف عليه حيث الاحتلال وضياع الوطن وفقدان الاصدقاء والاغتراب.

الموت الانساني والحياة جزء من جدلية الكون فلا يمكن تصور الموت بدون الانسان والحياة، ورؤية الشاعر للموت رؤية مخالفة فحياة الشاعر مكونة من قيم لها ثلاث زوايا هي : وضع العراق المأزوم والشعر والموت مرتبط بوضعية العراق السياسية والاقتصادية وانهيارات الواقع فهو مرتبط بموقف الشاعر الاتي والفلسفي بحكم الظروف المحيطة به التي تعدّ جزءاً من وعيه واحساسه ، مما جاء خطابه يفوح برائحة الموت وقد جاءت قصائده مملؤة بالموت وهي عبارة عن عامل مدمر يقضي كل شيء جميل في حياته فقد اخذ اصدقائه واحبائه.

يرى الشعراء المعاصرين للموت ليست واحدة وأنما تختلف باختلاف الظروف المحيطة بهم فقد نفذ رعد زامل إلى ما وراء الاشياء التي حوله بتجاوز حدود المكان والزمان واللجوء إلى الطبيعة لخلق عالم جديد افتراضي.

خطاب رعد زامل هنا بمثابة احتجاج على الواقع اللامعقول والمرفوض لأنه خارج النسق، وضع الحروب والقتل في التسعينات والذي ترك اثره على الجيل الجديد فما يزال اثره إلى وقتنا هذا.

خطاب رعد زامل هنا مرتبط بوعي الذات المفكرة وظاهرة نادرة في تراثنا الثقافي واغترابه يدل على وجود فجوة بين الكاتب والمجتمع.

وقد جعل الشاعر فلسفة الموت والاغتراب تخرج من حالتها النفسية إلى تقديم واقع جديد بدلاً من هذا الواقع المشؤوم وذلك بواسطة الخطاب الادبي الذي يقول فيه:

لماذا إلى الموت
نمضي ...
قطيعاً وراء القطيع ؟
ايا صاحبي
فرقتنا الأعاصير
فيا صاحبي
لا تسأل عن مصير الحمام
وعن إنقطاع الرسائل
إنما الأرض
زنزانة فيها أسير ؟[٤]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

القصيدة هي صورة مقربة من الموت الذي يمضي اليه أهلنا في العراق وسببه جحيم الحرب وأعاصيره فالموت أرحم مما تصنعه الحرب.

وإنني لم اقل بأن الشاعر هو من مضى مع هذا القطيع فاذا فعلت فقد نزعت احساس الشاعر من القصيدة وانما هي نظرة الشاعر عن كثب وما خلفته الحرب في نفس رعد زامل، ونفس كل عراقي فالشاعر قد رأى وسمع فقلبه مع العراقيين لا محالة وبذلك فقد ركب خطر الحرب ، تعبيراً عن القمع والقهر الذي يعيشه الفرد داخل مجتمعه وبذلك يكون اغترابه وليد القمع السياسي والاخلاقي والتربوي والاقتصادي[٥].

وهو يصف أنثروبولوجيا للإنسان أي تحدي الحياة والموت وهذا التحدث لا متأمل فيه على الرغم من انه صورة واقعية للحظة الوجود ووصف دقيق للواقع العراقي ذكر الشاعر فيه ترهيب وتخويف من الموت. فالخوف هنا اساس الغربة واحساسه بالاغتراب[٦].

يتحدث الشاعر لصديقه ويتساءل لماذا أبناء العراق يتسابقون إلى الموت ويؤكد بأن صديقه مثله تائه في الغربة، فيقول:

لمـــاذا إلى الـــموت
نـمـضي[٧]

كلمات الشاعر ترانيم عن غربة العالم ونبذ لهذا الزمن الباطل والعمر فيه محدود فقد استخدم اسلوب الجمع (نمضي ـ فرقتنا) حتى لا يميز نفسه عن اخوانه العراقيين وهو في موضع استفهام للوضع الغالب عليهم وتكيداً على عدم انعزاله عن شعبه بالفضل والتضحية والمعاناة فضلاً عن ذلك تأكيد ان هذا الموت والتفرقة شبيه بالأعاصير فالأعاصير كالفاجعة فالموت هنا موت الغربة وموت الاحبة والاصدقاء والطبيعة لان ((النفس الانسانية المليئة بالتناقضات هي من تكون اشد غربة))[٨].

ينتقل رعد زامل في هذه القصيدة من الموت إلى الحياة وليس من الحياة إلى الموت حيث الارض والزنزانة ((إنما الأرض زنزانة والمواطن فيها أسير)) فيرسم صورة الحياة البائسة ذات اليأس ، فالأرض طبيعة صامتة[٩] ، وبعد الاستفهام يصرح ويؤكد بـ (أن) الحياة تشعرهُ بالابتعاد والضجر فهو كالأسير وبذلك يتعاضد الشكل مع المعنى فـ (الزنزانة) السجن وهو مكان غير محبب للفرد وبذلك يكون ارتباطه بها سلبي فهو فاقد لملاذ هنا المكان (وطنه) وهيمنة الموت فيه.

أصبحت الأرض مقبرة لهؤلاء الموتى فهي كالزنزانة ومازال المواطن اسير فيها إلى أن يشاء الله فقد اسرت احلامنا فالحياة لديه صغيرة ومحدودة ذات شعور مرعب حيث التعجب وعلامات الصمت (....) أي تعجب لما يحدث ولا داعي للتعجب لان الذي حدث في العراق في هذا الزمن الميت اخلاقيا وافئدة مما لم يشهده عالم آخر وقد نلتمس عذراً للتعجب بأن ذاته متعجبة من حصول هذا الدمار في العراق مقارنة بالبلدان الاخرى، فالأرض هنا هي معادل دلالي ومقابلة للزنزانة ـ الواحدة متمة للأخرى وقدم الأرض على الزنزانة للمعنى انها رمز لاغتراب الشاعر المصاحبة للوحدة والموت.

نلحظ أنَّ الزنزانة هي رمز العذاب والاحساس بالغربة ، فهي مكان بحبس به حريات الفرد وله حدود وحواجز لا يستطيع من يداخلها الخروج الا بتحطيم هذه الحدود والحواجز[١٠]. فالشاعر هنا يستقطب مكونات البيئة (الأرض والزنزانة) بما يناسب حياة العراقيين من فقد وإغتراب، وقد تغير معنى الزنزانة (السجن) اليوم عن معناه في الماضي وأصبح في الحاضر ذات تجربة جماعية أصابت شعوباً وأعراقاً بكاملها بعدما كانت ذات تجربة شخصية بفعل الاستعمار الحديث على الشعوب بأكملها[١١].

وقد اطلق الشاعر ماض بن يونس[١٢] على الارض اسم المقبرة والسجن أيضا اذ يقول:

وحدي هنا .... في الظلام الدامس

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

ألملم شتات جثتي
في ذلك الشبر / القبر / السجن / المجتمع الغريب[١٣]

يبدأ الشاعر النص بالسؤال وينتهي بالتعجب لأنه ينتهي نهاية محزنة ومخيبة للأمل وخيبة الامل واليأس مفروض على الشاعر بفعل ما يحيط به من ظروف، فموت الشاعر نفسي داخلي يؤكد الموت برحيله إلى الزنزانة مما يعطي للموت الاستمرارية فهو المهيمن على النص وليس هناك دلالة للخير والحياة.

لقد عالج رعد زامل هنا الموضوع (الموت) بطريقته الخاصة عبر فلسفة الحياة والموت فنجده يلجأ إلى الطبيعة (الأعاصير ـ الارض ، الحمام) فقد اتخذ منها قناع ليقارن مصيره بمصير الحمام وحالتها عند موتها فسوف تتقطع الرسائل.

هنا لا يتحدث عن موت الجسد فقط وانما فضلاً عن ذلك فهو يتحدث عن موت الغربة والفقد ففي بداية حديثه كان عن موت الجسد (القتل والحرب) عندما يقول ((لماذا إلى الموت نمضي ... قطيعاً وراء القطيع ؟)).

فقد ذكر لفظة (الموت) بعد ذلك ينتقل ليتحدث عن موت الغربة (انقطاع الرسائل) أي أنه انتقل إلى موته الممزوج بالاغتراب وصوته المفجع بالقسوةِ ، بمعنى ان بداية الخطاب هنا كان عن الاخر الذي هو العراق والثاني كان لذاته.

الموت هو موضوع القصيدة ومركز اشعاعها الدلالي يمتد بدلالة مفرداته اللغوية المباشرة من البداية ليسيطر على القصيدة كلها وبداية هذا الموت يبدأ مع لحظة بداية التاريخ المعاصر أي بداية حرب التسعينات فهي لحظة كاشفة عن هذا الموت والقتل والترهيب والخوف المدمر والمرعب وقد كشفت هذه الحرب عما كان مضمراً وكامناً في اللاوعي الجمعي أي بعبارة اخرى كشفت عن الغطاء المضمر والكامن وجعلته على السطح فحولت الخوف العراقي المضمر إلى معلن ، كشفت للعراقيون زيف السياسة الغبية وخواء ادعاءاتهم بالمساواة مما بعث الاكتئاب والحزن والخوف الكامن في نفوس ابناء العراق، وهذا الموت ((الحرب والقتل)) قد شاهدهُ ابناء العراق بعينهم المجردة وعاشوا احداثها ووقائعها.

قدم رعد زامل هذا النص وهو يكشف عن ابعاد امكانية تحقيق الامل في هذه الارض، باستدعاء رموز الطبيعة (الحمام ـ الارض) ليبث الحياة في قصيدته[١٤].

أما من ناحية الصورة الشعرية فلابد من الاشارة إلى استعمال العطف في الجمل المعبرة عن الطبيعة (وعن انقطاع .... والمواطن فيها أسيراً) كذلك وجود اسلوب الاستفهام والتعجب وهي أساليب إنشائية نتيجة تداخل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الباعث على اغتراب الشاعر.

وقد توسط لفظ (المواطن) بين الزنزانة والاسر وهما لفظتان تدلان على الحزن وخيبة الامل ليكسب هذه اللفظة دلالة إغترابية فتكون بمثابة عينه (المواطن) تشع منها الدلالة لتكثيف توجه الشاعر وحبه واحساسه المرهف لشعبه فيكون (المواطن) البؤرة الدلالية لتحريك مشاعر القار كمقصد استهدفه الشعر.

بعد ذلك يتحدث عن الواقع الثقافي لاسيما للشعراء برموز جديدة معبرة عن موت الثقافة والتطور مسداً تلك المعاني في قصيدته التي يقول فيها :

ليس من الفجيعة
أن تلقى الوردة
حتفها في أول الربيع
ولكن الفجيعة ...
أن تذبح الوردة

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

ثم لا شيء
يبرر سفك دمها
سوى العطر
كما أنه من السعادة أن
يلقى حتفه الشاعر ولا شيء أيضاً ، يبرر سفك دمه
سوى الكلمات[١٥]

بداية خطابه يؤكد بأن ليس في هذا الزمن فقط ظهرت الفجيعة وانما هي في كل وقت وفي كل زمن في العراق فهناك قتل وذبح ، وقد بين الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ان يكون اول الكلام دال على ما يناسب حال المتكلم وحتى ولو كانت اشارة يلمحها القارئ[١٦]. فكانت البداية نفي وفجيعة بما يلائم اغتراب الشاعر واحساسه بالألم ويستخدم لذلك رمز سقوط الورد في بداية الربيع وليس هو الشاعر الوحيد الذي استخدم فصول السنة كرمز للتعبير من خلجات ذاته فقد افرد الشعراء قديماً لهذه الفصول قصائد عديدة فهم البحتري وأبي تمام وكان لهم ولع خاص يذكر هذه الفصول ولكل فصل تعبيراً خاص به وقد استخدمها شاعرنا رعد زامل بأسلوب يختلف عن القديم حتى في قصائد اخرى له قد ذكرتها في موضع اخر من لبحث لكي يلائم ذلك الشاعر واحساسه الداخلي ويقول الدكتور حسين عبود في كتابه ((تجليات الطبيعة)) [لا يوجد اختلاف بين شاعر وآخر في التعبير عن الربيع عيد الطبيعة حيث الازهار وزمان الحب الجميل] لكن شاعرنا تفرد عن هؤلاء الشعراء ولم يعالج هذا الموضوع معالجة الموروث الشعري فقد صاغ (الربيع) بأسلوب والفاظ مختلفة ليثير مشاعر القارئ ، فكل شاعر معجمه الشعري[١٧].

رصد رعد زامل هنا بعض الظواهر السلبية اتجاه الثقافة والركود الثقافي فقد هيمنت ازمة المثقف في العراق ولم يبق إلا التراث فالوضع الراهن جعل الشاعر والمثقف يشعر بالاغتراب عن مجتمعه وهذا الركود يهدد مستقبلنا فأي تغيير في الحياة سواء كان نحو التطور والرقي او كان نحو الأسوء نتوقع ان تكون هناك ثقافة تحجب الاخر بحيث لا تتآلف قيم الشاعر مع الوضع المتوتر ، ولاسيما تهميش الطاقات الابداعية ومحاربتها بموجات الصراع السياسي وخاصة نفي المثقفين في الخارج واستغلال مفاهيم ثقافية لخدمة مصالح سياسية معينة[١٨].

وذكر الشاعر للفظة (الحمام) دليل الحزن والاسى فصوتها رفيق ذات نغمات حزينة تخيل للسامع وكأنها تبكي[١٩].

وهذا التشابه يطابق الاحساس الداخلي للشاعر من ألم وبكاء وفراق ((فهذه النظرة للحمامة تتكرر في الشعر العربي الحديث))[٢٠] خطاب الشاعر وكأنما يتساءل لمن تكتب، ومن يقرأ ؟ فهو تأكيد على غياب الضمير الجمعي خصوصاً في الاحداث السياسية والثقافية وحالات الركود هذا تشويه شامل للحياة فليس هناك حضور للفرد العراقي في ساحة السياسة والثقافة.

أصبح مجتمعنا مجتمع مادي ما عدا النخبة المثقفة المهتمين بالكتب والدليل على ذلك بعض طلاب الجامعات بمجرد تخرجه يهجر القراءة والاطلاع وكذلك المعلم في المدارس يقتصر على الكتاب المقرر له متى ما حفظه الطالب انتهى دوره وهكذا. وضعنا هذا مؤسف بالحقيقة على الرغم من أن الاطلاع على الكتب يطور وينمي شخصية الفرد.

ينتقل بعد ذلك إلى تقابل ايجابي ولكن على شكل تمني ((من السعادة أن يلقى حتفهُ الشاعر ....)) لتوليد دلالة ايحائية فقد استخدم الفعل المضارع (يلغى ، ويلقاه) وكررهُ اي انه يتحدث عن زمن المستقبل الذي

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

يتأمل فيه خيراً فهي كالمفتاح للأمل فكيف نتهمهُ بالتشاؤم ؟ وسرعان ما يعود إلى نقطة البداية حيث الذبح والموت وكأنه يبحث عن ما يخلصه وهو وشعبه من هذا الوضع.

استعمل أيضاً في هذه القصيدة مكونات البيئة (الربيع) وقد قابل الورد مع سفك الدماء وهذا التقابل ضدي ـ وقد أولت الدراسات الحديثة أهمية بالغة للعلاقات التقابلية الضدية لأنها تكشف الدلالة وتخلق جماليات فنية[٢١]. فالورد هو رمز الربيع وهو فصل الازدهار كما هو متعارف لكنها هنا عنصر سلبي فهو رمز للموت ونقيض الحياة ((أن تلقى الوردة حتفها في الربيع)) والذي يحبك النص (الفجيعة) ويجمع بين الطرفين المختلفين (الورد ـ سفك الدماء) فيجعل النص متجانس ذات بنية عميقة.

يبدو التضاد ((هو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده سواء كان للمكان او الحال او التجربة))[٢٢] واضح حيث الحياة والموت في البداية يعني وقوع الفاجعة (سفك الدماء) محقق واكيد ثم ينتقل إلى ما هو نظيره حيث الامل المرموز له (السعادة، الضحك، البريق)، محاولة من الشاعر لتخفيف الالم والغربة وحدة الموت وهو منتظر لذلك اليوم وبعدها يعود لتجديد الحزن والوحشة (سفك الدماء) وضياع صوت الشاعر ، فالربيع الذي تحدث عنه الشاعر ليس هو الربيع الذي عرفهُ الشعراء قديماً حيث الجمال وحب الطبيعة وانما هو ربيع تتساقط فيه الورود أي انه جعل الفاظ ملائمة لما في ذاته من حزن والم وهذا دليل على ابداع الشاعر فلم يقلد ما كان متوارث في القصائد الشعرية من الفاظ وتراكيب وانما جاء بصورة مخالفة لذلك ليكون اكثر وقعاً في نفس المتلقي مما يزيد من اثارة الالفاظ.

نلحظ أنّ موت الشاعر هو موت لكلماته ((ولا شيء أيضاً يبرر سفك دمهِ سوى الكلمات)) أي موت داخل نفسه.

نود الاشارة إلى أنّ شاعرنا قد اغفل التطور الثقافي اليوم او قد يكون خطابه مقتصر على التسعينات وقت الارهاب الذي اصاب العراق في الصميم فقد بدأ هذا التطور بـ (مؤتمر القمة للدول العربية) فبدأ الاهتمام بالجانب الثقفي لان العراقيون على الرغم من الاوضاع فهم محبون للموسيقى والسلام فكيف يكون لهم فترة ركود والدليل على ذلك التواصل الاجتماعي والانفتاح الفكري والثقافي ، ولكنني اتفق مع الشاعر رعد زامل بعدم وجود اسواق ثقافية. وحتى وان وجدت فهي ذات روح سياسية ومذهبية وليست لها أي علاقة بهموم الشعب فنشاطات الثقافة اليوم نشاطات فردية وليست على مستوى الدولة لان دستور العراق يخلو من كلمة ثقافة.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

يواصل رعد زامل العنف والموت الممارس ازاء الشعب العراقي ويذكر لك في قصيدته التي يقول فيها :

كم آخر القصب
الذي لا يشبه القصبا
أبكي على
نهر يتيم لم يجد
غير الثرى[٢٣] أماً
ولا غير العراق
أبا ....
أبكي على شجر
إذا مرت عليه الحرب
أمسى عمره حطبا
آه ....
من الموت
الذي في كفهِ عرب
وهم سيف بحده يذبح العربا[٢٤]

تبدو ذات الشاعر في زمن كثر فيه اليتم والبكاء والموت حيث جمع بين المكان والزمان (الزمكان) متمثلاً بمكان (القصب) اي الاهوار والزمن زمن البكاء والشدة والحيرة اي وقت الحروب والثورات وكل ذلك لإحساس الذات بعدم الجدوى والنجاة لانتشار القتل والدمار وانتهاك حرية الفرد.

يبدو أنَّ ذات الشاعر عاجزة عن تغيير الواقع فيقابل ذلك بـ (البكاء) يلازمه احساس اخر وهو الموت المتمثل بالبح فضلاً عن ما يرسمه الشاعر من لوحة تعبيرية تجسد ذلك الشعور العدمي عندما يقول ((من آخر القصب الذي لا يشبه القصبا)) فهنا يكشف عن البنية النفسية العميقة لذلك الوضع في الاهوار مما يشف عن شعور الذات الحزينة والباكية لليتم والثرى، فالموجودات في الة انهيار حتى اصبح الشجر حطباً من شدة الحرب وقد تبين وصفه للأهوار بـ (القصب) اي بيان للمناطق الريفية فيه تحديداً بشعور الذات لتمييز هذا المكان واستفحال الظلم ازاء هذا المكان وتهميش اهله وناسه. لان ذات الشاعر تستعير مكانها المتعلقة به لمقاومة اغترابها.

نرى أنَّ انتماء الشاعر، انتماء قومي ووطني في نفس الوقت فضلاً عن ذكر فروع هذا الانتماء بالأيقونة المتمثلة بـ (القصب ـ النهر).

ذات الشاعر متواصلة في ذكر الاهوار تأكيداً لهويته العراقية فقد ذكر ذلك اكثر من مرة وفي قصائد عديدة له، هذا العمل يفجر غنائية التكرار الشبحي وربط الصيغ فيعد المدخل للكتابة الغنائية واستحضار / العوالم الداخلية فالذي يمارس البوح هو أقرب من روح الشعر[٢٥].

ويؤكد رعد زامل أن حقوق هذا الشعب وكفاحهم مهدورة بقوله ((وهم سيف بحده يذبح العربا)) وهذا الاحساس محيط يمتلك الذات الشاعرة ويجمد الزمن فهو ينتهي دون ان يحققوا حريتهم.

ثمّة شعور بالموت العبثي (المتعمد) مما يضيف الخناق والشعور بالاغتراب لدى ذلت الشاعر واحساسها باليتم مما اصاب الذات المأساة والحزن.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

بما أن رمز الحرب مرتبط بعدم الاستقرار مما يعكس حالة الاضطراب لدى الذات فيجعلها ذات شعور بائس واحساس بالتلاشي مع مرور الزمن فهو يتأسف لما مضى ويحمل مخاوف للمستقبل والشك في استمرار الحياة وسيطرة الموت.

وفي البداية ترفض الذات التخلي عن مكانها ووطنها (الأهوار) الذي ينعته بالقصب رغم الظلم والاستبداد ، فالذات متمسكة بمدينتها ولأجلها احس بالاغتراب شأنه شأن شعراء الحداثة في علاقتهم بمدينتهم ، فالشاعر هو الوجه السياسي والحضاري لمدينته[٢٦] حيث أنه هنا يؤكد موقفه الجدلي اتجاه المدينة أي ما بين احساسه بالاغتراب والوحدة وما بين دفاعه عن مدينته وهويته وانتمائه وهو لا يتحدث عن الحلم الذي يسعى اليه في ارض العراق وانما يتحدث عن واقع متمثلاً بـ (القصب) فروح الشاعر هنا ذات واعية ورؤيا معاصرة للوضع الراهن مستمداً لغته من افكار الواقع.

وينعي المكان بعد ان اصبح مكان للحرب والبشر فيه حطبٌ لها أي العبث بالهوية الروحية للفرد العراقي.

يأتي الفراغ المنقوط يقتطع الخطاب الشعري ليعبر عن مأساة الشاعر متدبراً لحالة وطنه وبفصل الشاعر عن هذا الواقع المأزوم المملوء بالغربة والجملة التي تأتي بعده تكون جامعة لكل أحاسيس الاغتراب فتأتي العاصفة بعد الهدوء وهذا الصمت يعترض الجمل أيضاً فهو نوع من الجمالية وتعبيراً عن موقف تافه.

أيضاً هذا الصمت يدفع القارئ للتفتيش عن الدلالات الخفية والمعاني الغائبة خلق هذا الصمت ، وبهذا يحقق احد شروط التلقي المحدثة لأنه حامل رسالة ذات شفرات قابلة للتفكيك[٢٧]. وهذا الصمت ذات ـ آيديولوجية حاضرة في النص في صورة غيابية بليغة[٢٨].

ولا أغفل عن الآهات التي كررها الشاعر فهو يتأوه مع مشاهد القتل والدمار اي من حال شعبه لأنه قادر على نظم افكاره فالآهات تخفف من الاحساس بالألم ثلما يخفف الانين الم الموجوع وايضاً تأكيد على ان هذا الوضع لم ينتهي فيحاول توصيل ذلك للمتلقي اي انه يضرب على الوتر الحساس لاستنهاض همم شعبه.

فقصائد الشاعر رعد زامل التي تحدث فيها عن الموت هي جميعها تدور حول معاناة الفرد العراقي والقتل العبثي وموت الثقافة العربية فكان حديثه عن فترة التسعينات وما شاهدته من حروب وانتهاك وقمع ضد الشعب العراقي مما يحمل اهمية ذلك فقد اصبحت اثار تلك الحرب اشد من الحرب نفسها في وقتنا هذا.

وفي تجسيده لمأساة الشعب العراقي وكان شاعرنا مسكون بحس سارتر في الانفعال لمعاناة الشعب.

ولغة الشاعر جزلة مبتعد عن التقليد في الكتابة فقد عاين الظلم الممارس اتجاه المواطن العراقي ولاسيما الاغتيالات والفوضى وانعدام الامان وشيوع الذعر في الشارع العراقي واثارة الخوف في صفوف المعارضين للحكومة اما البناء الموسيقي للقصيدة نجدها تلتزم حرف الألف وهو (قصبا ـ حطباً ـ عربا) وهو من حروف الوصل والحرف الذي يأتي بعد الروي))[٢٩] وهذا مخالف لمعنى النص الدال على الحزن والتشتت والحرب فيقول القرطاجني بخصوص القافية ((إذا دلت على امر كريه اورثت النفس ضيقاً وتبرما واذا دلت على امر طيب اورثتها امراً طيباً))[٣٠]. وذلك لان الشاعر من الشعراء المحدثين الذين تمردوا على الرتابة بشكل لا يمس القيمة الجمالية للشعر.

ألفاظ الشاعر واضحة فقد انتقى الالفاظ لبيان المضمون بتحقيق الانسجام بينهما واكثر من استعمال اساليب الاستفهام والتعجب لما لها من دلالة توحي بالتركيز عليها فالشاعر كثير الارتباط بالتراث سواء كان مكان او اسم شخص أيضاً استخدم التقابل بين ما هو قدم وما هو حديث ليوصل لنا صورة النفس المغتربة التي تعاني الالم والحزن ويكون اكثر تأثير في القارئ.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الحادي والعشرون–آيار ٢٠٢٣–شوال ١٤٤٤
ISSN-2536-0027

خطاب رعد زامل ذاتي يعبر عن وضع العراق وقد وجد الشاعر هذا الخطاب متنفساً له عن خلجات النفس وما فيها من توتر واحباط.

وصورة الخطاب متجانسة ذات دلالات نفسية وفكرية فهي تعتمد على الصراع بين ذات الشاعر والواقع المرير وفي نفس الوقت لم يهمل التفاصيل الدقيقة والصوت والثنائيات الضدية (الموت والحياة) وكلها صور ابداعية تتراوح بين ما هو قديم وما هو حديث وكل الرموز التي استخدمها دالة على الاغتراب بوعي للوضع الراهن لقد منح الالفاظ دلالات جديدة لم نجدها في الشعر القديم فمثلاً الربيع ((ان تلقي الوردة حتفها في اول الربيع)) حيث الجفاف مما يثير الدهشة في نفس القارئ (والارض زنزانة) والمعروف هي مصدر الانبات وهذه الالفاظ مشحونة بالدلالة النفسية للشاعر ومخيلته مما اضاف للمفردات انفعالية وقوة وايحاء وقد وجد هذا عند (نازك الملائكة ـ بدر شاكر السياب ـ علي الشرقي) فلغة الشاعر ذات دلالات متعددة.

الهوامش:

(١) محمد الماغوط : شاعر وأديب سوري من شعراء القصيدة الحرة.
(٢) مقال photos<https://mifacebook.com
(٣) مقال ، بقلم : سماح عادل ، ٢٢ اكتوبر ٢٠١٧ cultural>https://kitabat.com
(٤) فصل في المرايا : ٢٢.
(٥) ينظر: المظاهر الإغترابية في الشخصية العربية ، علي وطفه : ٢٤٢.
(٦) ينظر: الاغتراب المكاني المثقف في روايات سعد محمد رحيم بعد ٢٠٠٣م ، تأليف : كريم أميدي وآخرون : ٩.
(٧) فصل في المرايا: ٢٢.
(٨) ينظر: الاغتراب ومتاهة الذات في مسرح يسرى الجندي (الهلالية نموذجاً)) د. شيرين جلال محمد احمد : ٤٢١.
(٩) ينظر: تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث ، أ.د. حسين عبود حميد الهلالي : ٣٧.
(١٠) ينظر: الاغتراب في رواية "ريح يوسف" لعلاوة كوسه ، اعداد سارة عبد اللاوي وآخرون : ٣٤.
(١١) ينظر: صياغة الاغتراب النفسي في ضوء سياسة الابعاد الاسرائيلية : ١٥. لم يذكر اسم المؤلف.
(١٢) شاعر مغربي صاحب قصيدة (سجن ابو غريب) و(حتى يهدأ الغبار).
(١٣) المنظور الاجتماعي في قصيدة ين يونس بعد عودتي من مراسيم جنازتي ، وديع العبيدي ، الحوار المتحدة.
(١٤) ينظر: تجليات الانبعاث والموت في الطللية والتموزية طللية لبيدين ربيعة وتموزية السياب أنموذجاً (دراسة مقارنة)، ليلى نعيم عطية الخفاجي : ١٤.
(١٥) تنويه: ٦٧.
(١٦) ينظر: انوار الربيع في انواع البديع ، صدر الدين المدني وآخرون : ٥.
(١٧) تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث ، د. حسين عبود : ١٦٩.
(١٨) الواقع الثقافي في عراق ما بعد التدمير ، مقال ، بقلم : مهند الدوري ، شبكة النبأ المعلوماتية.
(١٩) ينظ: تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث ، د. حسن عبود : ١١٤.
(٢٠) المصدر نفسه : ١٤٥.
(٢١) ينظر: التقابل البلاغي في شعر علي ابن الجهم ، ملخص مجلة الكوفة ، بقلم : محمد حسين وآخرون.
(٢٢) ينظر: التضاد في اللغة العربية والاندنوسية (دراسة مقارنة) ، احمد أفندي : ٣٤.
(٢٣) الثرى : الأرض والتراب الندي.
(٢٤) ترانيم على ضفاف الكحلاء : ١٨٧.

ISSN-2536-0027

(٢٥) ينظر: اساليب السرد في الرواية العربية ، صرح فضل : ١٠٧.
(٢٦) ينظر: المدينة في الشعر العربي المعاصر ، مختار أبو غالي : ٧٧.
(٢٧) ينظر: النقد والحداثة ، عبد السلام مسدي : ٢٨ ـ ٢٩.
(٢٨) ينظر: النقد والآيديولوجية ، تيري إيغلتون ، ت : فخري صالح : ١٧٨ ـ ١٧٩.
(٢٩) الايقاع المعنوي في الصورة الشعرية ، محمود درويش ، اعداد : داحم أسية : ٧٦.
(٣٠) منهاج البغاء، للقرطاجني : ٧٦.

المصادر:ــ

- انوار الربيع في انواع البديع ، صدر الدين المدني وآخرون، انوار الربيع في انواع البديع، السيد علي صدر الدين ابن معصوم المدني، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٩م، الجزء الثالث.
- اساليب السرد في الرواية العربية ، د. صلاح فضل، ط١ ، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا ، ٢٠٠٣م.
- الاغتراب ومتاهة الذات في مشرح يسري الجندي الهلالية نموذجاً ، شيرين جلال محمد احمد ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، مجلة كلية دار العلوم ، الدراسات الادبية والبلاغية ، المجلد ٣٦ ، العدد١١٦ ، يناير ، ٢٠١٩م. <https://mkda.journals.ekb.eg
- الاغتراب المكاني لدى المثقف في روايات سعد محمد رحيم بعد ٢٠٠٣م ، تاليف : كريم اميدي ومحمد جواد وناصر زراع ـ وسيد حيدر ، افاق الحضارة الاسلامية، اكاديمية العلوم الانسانية ، الدراسات الثقافية ، مجلة علمية سنوية ، ٢٠٢٢م ، العدد١. Huttps://www.afagh.incs.ac.ir.
- الاغتراب في رواية "ريح يوسف" لعلاوة كوسه، اعداد الطالبين: سارة اللاوي ـ فطيمة عربية، ادب حديث ومعاصر، رسالة مجاستير، كلية الاداب، ٢٠١٩/٦/٢٣ ، ٢٠١٧ ـ ٢٠١٩م.
- التضاد في اللغة العربية والاندونيسية (دارسة تقابلية) احمد افندي ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة شريف هداية الله الاسلامية ، بحث ، ١٤٣١ه ـ ٢٠١٠م.
- التقابل البلاغي في شعر علي بن الجهم ، بقلم : محمد حسين عبد صكر ، مرضية اباد ، ياسين طاهر عايز ، اداب الكوفة ، مجلد١ ، ج١ ، ٢٠٢١م ، كانون الاول. View<https://journaluokufaeduiq.
- المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، علي وطفه مجلة عالمك الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مجلة٢٧، العدد٢، اكتوبر/ديسمبر، الكويت، ١٩٩٨م.
- المدينة في الشعر العربي المعاصر ، د. محتار علي ابو غالي ، ٢١ اكتوبر ، ٢٠١٤م.
- المنظور الاجتماعي في قصيدة بن يونس ماض بعد عودتي من جنازتي، وديع العبيدي،٢٠١٦/١٢/٢٤م،الحوار المتمدن. Ahewar.org.s.sap<https://m.ahewar.org.
- النقد والحداثة ، عبد السلام المسدي ، ط١ ، دار الطليعة ، ١٩٨٣م.
- النقد والايديولوجية، تيري ايغلتون، ترجمة: فخري صالح ، ط١ ، دار رؤية للنشر والطباعة ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٦م.
- الايقاع المعنوي في الصورة الشعرية "محمود درويش" ، اعداد : راحم اسيه ، اشراف : أ.د. العربي عميش ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة حسيبة بن بوعلي ، ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩م.

ISSN-2536-0027

- تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث ، أ.د. حسين عبود حميد الهلالي ، ط١، دار الفنون والاداب ، ٢٠٢١م.
- تجليات الانبعاث والموت في الطللية والتموزية طللية لبيد بن ربيعة وتموزية السياب انموذجاً (دراسة مقارنة) ، جامعة اهل البيت ن بحث علمي ، للباحثة : ليلى نعيم عطية الخفاجي، العدد١٢ ، الادب العربي،٢٠٢٣م. abu.edu.iq.articles<research<https://abu.edu.iq.
- صياغة الاغتراب النفسي في ضوء سياسة الابعاد الاسرائيلية ، د. عدوية السوالمة، ١٩٩٢م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م.

- مقال photos<https://mifacebook.com
- مقال ، بقلم : سماح عادل ، ٢٢ اكتوبر ٢٠١٧ cultural>https://kitabat.com
- مقال، الواقع الثقافي في عراق ما بعد التدمير ، مقال ، بقلم : مهند الدوري ، شبكة النبأ المعلوماتية.